﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: 31]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الأمـرُ بإلـقـاءِ الـعـصـا مـع التّثبيت والأمان بـعـدَ الـتّـذكـير بربوبيّة المنعم المنّان

بعدَما نادَى اللّهُ ﷻ موسى عليه السلام، وأخبرَهُ بوحدانيَّتِهِ وربوبيَّتِهِ - أمرَهُ بإلقاءِ العصا؛ ليُرِيَهُ الآيةَ الأولى[1]، وقد جرّب معجزة العصا لأوّل مرّة، ففزع منها، بعد تحوّلها إلى أفعى، واهتزازها كأنّها جانّ، فولّى الأدبار، لائذًا بالفرار، فنادته عظمة الله تعالى، أن ينبذ الخوف، ويوقن بأنّه من الآمنين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَلْقِ﴾: (لقي) أُصولٌ ثَلاثَةٌ: أحَدُها يَدُلُّ عَلَى عِوَجٍ، والآخَرُ عَلَى تَوافي شَيْئَيْنِ، والآخَرُ عَلَى طَرْحِ شَيْءٍ[2]. والإلقاءُ: طَرْحُ الشَّيءِ حيثُ تَلْقاهُ، أي: تراهُ، ثمَّ صارَ اسمًا لكلِّ طَرْحٍ[3]، قالَ سبحانَهُ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [الأعراف: 115]، ويقالُ: ألقيتُ إليكَ قولًا وسلامًا وكلامًا ومودَّةً، قالَ تعالى: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: 1]، وقالَ: ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [النّحل: 86]، وقالَ: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ [النّحل: 87][4]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]، قيل: معناه (لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى الهلاك)، وقال الأخفش: الباء زائدة: أي (لا تلقوا أيديكم إلى الهلاك)[5]، وألقى الشّيء طرحه على الأرض،

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 287، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 54.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لقي).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (لقي).
(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (لقي).
(5) نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: (الإلقاء).

ومعنى قوله تعالى ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ [آل عمران: 44]، ما كانت الأمم تفعله، من المساهمة بالسّهام عند الاختلاف[1].

2) ﴿تَهْتَزُّ﴾: (هزز) أصلٌ يدلُّ على اضطرابٍ في شيءٍ وحركةٍ[2]، فالهَزُّ: التَّحريكُ الشَّديدُ، يقالُ: هَزَزْتُ الرُّمْحَ فاهتزَّ، وقالَ ﷺ: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: 25]، ويقالُ: اهتزَّ النَّباتُ، إذا تحرَّكَ لنَضارتِهِ، قالَ تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحجّ: 5]، ويقالُ: اهتزَّ الكوكبُ في انقضاضِهِ[3]. ومعنى الاهتزازِ في الآيةِ: التَّحرُّكُ والاضطرابُ، وقال اللّيث في قول الله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾، الجانّ: حيّة بيضاء، وقال الزَّجّاج: المعنى أنّ العصا صارت تتحرّك، كما يتحرّك الجانّ حركة خفيفة، قال: وكانت في صورة ثعبان، وهو العظيم من الحيّات. ونحو ذلك، قال أبو العبّاس. قال: شبّهها في عِظَمِها بالثّعبان، وفي خفّتها بالجانّ[4].

3) ﴿مُدْبِرًا﴾: (دبر) أصلٌ يدلُّ على آخرِ الشَّيءِ وخَلْفِهِ[5]، ومِنْ ذلكَ: دُبُرُ الشَّيءِ، وهو خلافُ القُبُلِ، وكُنيَ بهما عن العُضْوينِ المخصوصين، قالَ تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ [الأنفال: 50]، أي: قُدّامَهم وخَلْفَهم، وقالَ: ﴿وَأَدْبَرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ [ق: 40]، أي: أواخرَ الصَّلواتِ، ودَبَرَ فلانٌ القومَ: صارَ خَلْفَهم، وأدبرَ: أعرضَ وولَّى دُبَرَهُ[6]، والتَّدابرُ: المصارمةُ والهجرانُ، وهو أنْ يولّيَ الرَّجلُ صاحبَهُ دُبَرَهُ، ويُعرِضَ عنهُ بوجهِهِ[7]، ويقال: لا يَعْرِفُ الأمرَ مُقْبِلًا ولا مُدْبِرًا، والمعنى في الآية: لم يتبع إدباره إقبالًا والتفاتًا[8].

4) ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: (عقب) أصلٌ يدلُّ على تأخيرِ شيءٍ وإتيانِهِ بعدَ غيرِهِ، يقالُ: جاءَ في عَقِبِ الشَّهرِ، أي: في آخِرِهِ، وعَقَبَهُ، إذا تلاهُ[9]، وتعقَّبتُ ما صنعَ فلانٌ، أي: تتبَّعتُهُ[10]، وقولُهُ

(1) المُطَرِّزِيّ، المغرب في ترتيب المعرب: (لقي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هزز).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (هزز).
(4) ينظر: الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (جنّ).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دبر).
(6) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (دبر).
(7) الخليل، العين: (دبر).
(8) الزمخشريّ، الفائق في غريب الحديث والأثر: (دبر).
(9) الرّاغب، المفردات: (عقب).
(10) الزّمخشري، أساس البلاغة: (عقب).

تعالى: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾، أي: لم يلتفتْ وراءَهُ، والعُقْبُ والعُقْبَى يختصّانِ بالثَّوابِ، قالَ تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف: 44]، وقالَ: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرّعد: 22]، وإطلاقُ العاقبةِ يختصُّ بالثَّوابِ، نحوُ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: 128]، وبالإضافةِ قد تُستعمَلُ في العقوبةِ، نحوُ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ﴾ [الرّوم: 10][1].

5) ﴿أَقْبِلْ﴾: (قبل) أصلٌ يدلُّ على مواجهةِ الشَّيءِ للشَّيءِ، فالقُبُلُ مِنْ كلِّ شيءٍ: خلافُ دُبُرِهِ، وقبائلُ الرَّأسِ: شُعَبُهُ، وسُمِّيَتْ بذلكَ؛ لإقبالِ كلِّ واحدةٍ منها على الأخرى[2]، والإقبالُ: التَّوجُّهُ نحوَ القُبُلِ، كالاستقبالِ، والمقابلةُ والتَّقابلُ: أنْ يُقبِلَ بعضُهم على بعضٍ، إمّا بالذّاتِ، وإمّا بالعنايةِ والتَّوفُّرِ والمودَّةِ، قالَ ﷻ: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة: 16][3].

6) ﴿الْآمِنِينَ﴾: (أمَنَ) أصلانِ مُتَقارِبانِ: أحَدهُما الأمانةُ الَّتي هيَ ضدُّ الخيانَةِ، ومَعناها سُكونُ القَلبِ، والآخَرُ التَّصْديقُ[4]. أصلُ الأمْنِ: طمأنينةُ النَّفسِ وزوالُ الخوفِ، ويرد تارةً اسمًا للحالةِ الَّتي يكونُ عليها الإنسانُ في الأمنِ، كقولِهِ ﷻ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: 125]، وتارةً اسمًا لِما يُؤْتَمَنُ عليهِ الإنسانُ، كقولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: 27]، أي: ما ائتُمِنْتُم عليهِ، و(آمَنَ) يقالُ على وجهينِ: أحدُهما مُتعدٍّ بنفسِهِ، يقالُ: آمَنْتُهُ، أي: جعلتُ لهُ الأمْنَ، والثّاني غيرُ مُتعدٍّ، ومعناهُ: صارَ ذا أمْنٍ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ثمَّ أُمِرَ موسى ﷺ بإلقاءِ عصاهُ، فألقاها، فصارَتْ حيَّةً تسعَى،

إظهارُ معجزةِ العصا لموسى ﷺ، وطمأنته بالأمان من الخوف

(1) الرّاغب، المفردات: (عقب).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).
(3) الرّاغب، المفردات: (قبل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمن).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أمن).

فلمّا رآها تتحرَّكُ وتضطربُ كأنَّها جانٌّ، ولَّى هاربًا منها، ولم يرجعْ على عَقِبِهِ، فنوديَ: يا موسى أقبِلْ إليَّ، ولا تَخَفْ مِنَ الَّذي تهربُ منهُ؛ إنَّكَ مِنَ الآمنينَ مِنْ أنْ يَضُرَّكَ، إنّما هو عصاكَ، جعَلْناها آيةً لكَ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواوِ في قولِهِ: ﴿وَأَنْ أَلْقِ﴾:

العطف وسيلة لربط المعنى بين الجمل في السّياق

الواوُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عاطفةٌ، وهو معطوفٌ على قولِهِ: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾[2]؛ لأنَّهُ إنشاءٌ أيضًا[3]، فيكونُ داخلًا أيضًا في حيِّزِ النِّداءِ، أي: ونوديَ أنْ ألقِ عصاكَ[4]، قال أبو السّعود: "﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطفٌ على ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾، وكلاهما مفسّرٌ لنودي"[5].

دلالة (أنْ) في جملة: ﴿وَأَنْ أَلْقِ﴾:

بيان تنوّع معاني (أنْ) الإعرابيّة، منبئ بأهميّتها في السّياق

الظّاهرُ أنَّ (أنْ) في قولِهِ تقدَّسَ ذكرُهُ: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ تفسيريَّةٌ لـ ﴿نُودِيَ﴾[6].

وقيلَ: مُخفَّفةٌ مِنَ الثَّقيلةِ[7]، واسمُها ضميرُ الشَّأنِ المحذوفُ. وجوِّزَ كونُها هنا مصدريَّةً[8].

دلالةُ الأمرِ في قولِهِ: ﴿أَلْقِ﴾:

قيمة فعل الأمر أنّه مكرّر للدّلالة على الوجوبِ

الأمرُ في قولِ اللهِ جلَّتْ حكمتُهُ: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ للوجوبِ، لأنَّهُ الأصلُ، ولا صارفَ عنهُ هنا، وقد أمرَ اللهُ سبحانَهُ موسى عليه السلام بذلكَ؛ ليُريَهُ آيةً في هذهِ العصا. وهناك من أشار إلى أنّه، كان من الممكن أنْ تنقلبَ العصا الجافّة إلى شجرة خضراء من جنس العصا،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 574.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 283.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 508.
(4) النّسفي، مدارك التّنزيل: 2/ 641.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 12.
(6) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 302، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 508.
(7) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 302، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 508.
(8) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 508.

وتكون أيضًا معجزة، أمّا أنْ تتحول إلى جنس آخر، وتتعدَّى النّباتيّة إلى الحيوانيّة والحيوانيّة المتحرّكة المخيفة، فهذا شيء عجيب غير مألوف"[1]، وعليه فإنّ معجزة الفعل ﴿أَلْقِ﴾، لا تتأتّى إلّا إذا كان الآمر هو الله تعالى، الّذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء، وهو ما حصل فعلًا.

سرُّ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿عَصَاكَ﴾:

تعيينُ العصا الّتي ستكونُ مُعجِزةً، من دقّة التّقدير الإلهيّ

المرادُ بـ ﴿عَصَاكَ﴾ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: عصاكَ الّتي في يدِكَ، كما قرَّرَهُ على ذلكَ في قولِهِ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾ [طه: 17 - 18]، والمعنى: أمّا هذهِ عصاكَ الّتي تعرفُها فألقِها[2]، وفي ذلكَ تعيينٌ للعصا الّتي ستكونُ مُعجِزةً مِنْ مُعجِزاتِهِ عليه السلام.

دلالة الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَلَمَّا﴾:

الفاءُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فصيحةٌ، تُفْصِحُ عن جملٍ محذوفةٍ؛ تعويلًا على دلالةِ الحالِ عليها، وإشعارًا بغايةِ سرعةِ تحقُّقِ مدلولاتِها، أي: فألقاها فصارَتْ حيَّةً فاهتزَّتْ[3].

الفاءُ فصيحةٌ، مفصحة عن دلالة الجملة المتوخّاة

نكتة إعراب قولِهِ: ﴿فَلَمَّا﴾:

لفظ ﴿فَلَمَّا﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾، ظرفٌ بمعنى (حينَ)، مُتضمِّنٌ معنى الشَّرطِ، مُتعلِّقٌ بالجوابِ، وهو قولُهُ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَلَّىٰ﴾.

الظّرف الدّالّ على الحينَ، مبنيٌّ عن الدّلالة المتوخّاة

نكتةُ التّعبيرِ بالماضي ﴿رَءَاهَا﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾؛

التّنبيهُ على تحقُّقِ الرُّؤيةِ ووقوعِها، مفيد في البيان

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 18/ 10915.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 235.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 12، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 283.

للدَّلالةِ على تحقُّقِ الرُّؤيةِ ووقوعِها، كما هو شأنُ الأفعالِ الَّتي تَرِدُ في حكايةِ القصصِ والأخبارِ الماضيةِ.

وكذلكَ القولُ في فعلِ ﴿وَلَّىٰ﴾.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿تَهْتَزُّ﴾:

حكايةُ الحالِ الماضيةِ، من بليغِ العبارةِ المؤديةِ

جاء البيانُ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الباري تباركَ شأنُهُ: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾؛ لحكايةِ الحالِ الماضيةِ، وتصويرِها وكأنَّها تقعُ الآنَ، وإنَّما حُكيَتْ هذهِ الحالُ؛ لِما فيها مِنَ الغرابةِ وخَرْقِ العادةِ؛ إذ لم تَجْرِ العادةُ بأنْ تنقلبَ العصا إلى حيَّةٍ، وتتحرَّكَ وتضطربَ اضطرابًا شديدًا.

دلالة إعرابِ جملةِ ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾:

بيان أنّ الجملة الحاليَّة، مبينة عمّا يشبه اهتزاز الجنّ

جملةُ ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حالٌ مِنْ فاعلِ ﴿تَهْتَزُّ﴾، وفائدةُ هذهِ الحالِ تقييدُ الاهتزازِ بكونِهِ كاهتزازِ الجانِّ.

بلاغةُ التَّشبيهِ في قولِهِ: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾:

التشبيه في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ مرسل مجمل، حذف فيه وجه الشبه، فصار مجملًا، وشبهت بها؛ لما ظهر لها من سرعة الحركة والقوة، والخِفَّة، لا في هيئتِها وجُثَّتِها[1].

دلالة تنكيرِ لفظ ﴿جَآنٌّ﴾:

التّنكيرُ للإفرادِ، موضح للمراد

تنكيرُ ﴿جَآنٌّ﴾ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ للإفرادِ، والمعنى: كأنَّها فردٌ مِنْ أفرادِ الجنسِ المُسمَّى بالجانِّ، وهو يحمل خصائصه، ويقدّم لنا الصّورة التّشبيهيّة المدرجة في هذا السّياق، ببيان مشرق واضح المدلول والغاية.

دلالة إعراب لفظ ﴿مُدْبِرًا﴾:

النّصبُ على الحاليَّةِ، إبراز للمشهد المقدّم

الإدبارُ: التَّوجُّهُ إلى جهةِ الخلفِ، وهو مُلازِمٌ للتَّولّي، فقولُهُ:

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 283، والمراغي، تفسير المراغي: 16/ 103.

﴿مُدۡبِرٗا﴾ حالٌ لازمةٌ لفعلِ ﴿وَلَّىٰ﴾[1]، وهي مبينة عن حالة الفزع والخوف الّتي اعترت موسى عليه السلام، حين رأى العصا، في لمح بالبصر، تنقلب إلى حيّة عظيمة، وتهتزّ كأنّها جانّ، في صورة مرعبة، غير مألوفة لديه من قبل، وقيلَ: ﴿مُدۡبِرٗا﴾ حالٌ مُؤكِّدةٌ لشدَّةِ هروبِهِ خوفًا[2].

دلالة الواوِ في جملة ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾:

العطف وصل للجمل، وربط للمعاني المتلاحقة

الواوُ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾، لعطفِ هذهِ الجملةِ على جملةِ ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾، فتفيدُ أنَّ ما ترتَّبَ على رؤيةِ العصا تهتزُّ كأنَّها جانٌّ، هو التَّوليةُ مُدبرًا وعدمُ التَّعقيبِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ المنفيِّ:

الإشارةُ إلى استمرارِ انتفاءِ التَّعقيبِ، من البيان المفيد

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ المنفيِّ، في قولِ الحقِّ عزَّ شأنُهُ: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾؛ للدَّلالةِ على استمرارِ انتفاءِ التَّعقيبِ، قبلَ توجيهِ الأمرِ لهُ بالإقبالِ؛ لأنَّ صيغةَ المضارعِ تفيدُ الاستمرارَ، فإذا دخلَ عليها النَّفيُ، أفادتِ استمرارَ الانتفاءِ. ويحتملُ أنْ يكونَ التَّعبيرُ بها لاستحضارِ صورةِ عدمِ تعقيبِهِ، ولذلكَ لم يُقَلْ: (وما عقَّبَ).

بلاغةُ الكنايةِ في جملة ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾:

بيان التّولي مدبرًا، على التَّصميمِ على الهربِ والإسراعِ فيهِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾، نجد أنّ ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾، بمعنى: خوفًا منها، ومعنى قولِهِ: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾: لم يرجعْ، ولم يلتفتْ إلى جهتِها، وذلكَ كنايةٌ عن شدَّةِ التَّصميمِ على الهربِ والإسراعِ فيهِ خوفًا مِنَ الإدراكِ في الطَّلبِ[3]. والحاصلُ أنَّ المعنى: ولَّى تولّيًا قويًّا لا تردُّدَ فيهِ[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 228.
(2) اطفيّش، تفسير اطفيّش: 7/ 379.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 280.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 228.

دلالة موقع جملةِ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ ممّا قبلَها:

الجملةُ مَقولُ قولٍ وقعَ استئنافًا بيانيًّا

قولُهُ تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ﴾ مَقولُ قولٍ محذوفٍ، أي: (قلْنا لهُ: يا موسى أقبِلْ...) إلخ[1]، هذا القولُ مستأنفٌ استئنافًا بيانيًّا، جوابًا عن سؤالٍ نشأ مِنَ الكلامِ السّابقِ؛ لأنَّهُ لمّا أُخبِرَ عن موسى عليه السلام، أنَّهُ ولَّى مُدْبِرًا ولم يُعقِّبْ - تشوَّفَتِ النَّفسُ إلى معرفةِ ما قيلَ لهُ عندَ هذهِ الحالةِ، فأجيبَ بأنَّهُ قيلَ لهُ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ﴾[2].

الغرضُ مِنَ التَّعبيرِ بالنِّداءِ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾:

التَّنبيهُ على أهمّيَّةِ الكلامِ الآتي بعدَ النِّداءِ

جيءَ بأسلوبِ النِّداءِ في قولِ الحقِّ عزّ وجلّ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ﴾، وجيءَ معَهُ بأداةِ نداءِ البعيدِ (يا)؛ لِما يُفيدُهُ هذا الأسلوبُ مِنْ إيقاظِ المُنادَى وتنبيهِهِ؛ ليتهيَّأَ لتلقّي ما يُتلَى عليهِ مِنَ الكلامِ، وفي ذلكَ ملاءمةٌ لمقامِ إزالةِ الرَّوْعِ، وبثِّ الطُّمأنينةِ في قلبِ موسى عليه السلام، فهو مقامٌ يستدعي منهُ كمالَ التَّيقُّظِ؛ للابتعادِ عن موجباتِ الخوفِ.

دلالةُ الأمرِ في قولِهِ: ﴿أَقۡبِلۡ﴾:

بيانُ أنّ دلالةَ الأمرِ على الوجوبِ، مبينٌ عن المعنى المطلوب

الأمرُ في قولِ الحقِّ عزّ وجلّ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ﴾ لوجوبِ الإقبالِ؛ لأنَّهُ الأصلُ، ولا صارفَ عنهُ هنا، بل مقامُ إزالةِ الرَّوْعِ وبثِّ الطُّمأنينةِ يستدعيهِ.

نكتة العطفِ في قولِهِ: ﴿وَلَا تَخَفۡۖ﴾:

تأكيدُ طلبِ الإقبالِ، على أخذِ التّكليفِ بالبلاغِ، بعزمٍ وثباتٍ

قولُهُ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿أَقۡبِلۡ﴾ تصريحٌ بمضمونِ قولِهِ: ﴿وَلَا تَخَفۡۖ﴾؛ لأنَّهُ لمّا أدبرَ خوفًا مِنَ الحيَّةِ كانَ النَّهيُ عن الخوفِ دالًّا على معنى طلبِ إقبالِهِ[3]، فيفيدُ مجموعُ قولِهِ: ﴿أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ﴾ تأكيدَ طلبِ الإقبالِ، وفي ذلكَ مزيدُ ملاءمةٍ لمقامِ التَّثبيتِ وإزالةِ الخوفِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 228.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 135.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 113.

دلالةُ النَّهي في قولِهِ: ﴿وَلَا تَخَفۡۖ﴾:

النَّهيُ عن الخوفِ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَلَا تَخَفۡۖ﴾ مُستعمَلٌ في النَّهي عن استمرارِ الخوفِ؛ لأنَّ خوفَهُ قد حصلَ، والخوفُ الحاصلُ لموسى عليه السلام خوفُ رُعْبٍ مِن انقلابِ العصا حيَّةً، وليسَ خوفَ ذنبٍ[1]. وقيلَ: معنى ﴿وَلَا تَخَفۡۖ﴾: ولا تكنْ على حالٍ يُؤدّي إلى الخوفِ[2].

النَّهيُ عن استمرارِ الخوفِ، للشّروع في مباشرة التّكليف بالبلاغ

موقعُ جملةِ ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ ممّا قبلَها:

جملةُ ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾، استئنافٌ لتعليلِ ما يتضمَّنُهُ النَّهيُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَخَفۡۖ﴾، أي: الخوفُ مِنَ المخاوفِ غيرُ لائقٍ بكَ؛ لأنَّكَ مِنْ جملةِ الآمنينَ المعهودينَ بالأمنِ والأمانِ[3].

الاستئناف التّعليليُّ مفيدٌ، في البيان عن المراد

علَّةُ توكيدِ قولِهِ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾:

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ بـ (إنَّ) واسميَّةِ الجملةِ؛ لأنَّ الآدميَّ مجبولٌ على الخوفِ وإنِ اعتقدَ صحَّةَ الخبرِ[4]، ولأنَّ هذهِ الجملةَ تأكيدٌ لمُفادِ ﴿وَلَا تَخَفۡۖ﴾، وفيها زيادةُ تحقيقِ أمْنِ موسى عليه السلام[5]. فقيل له: يا موسى أقبل على النّداء، الّذي ورد إليك من ربّك، وعُد إلى مكانك الّذي جاءتك فيه المعجزة، ولا تخف دَرَكًا ولا تخش أذًى، إنّك فى عداد الآمنين النّاجين، من كلّ مكروه، محتمل، وذلك وعد اللّه لكلّ مبلّغ من الرّسل، يصطدم بالواقع المرير، من العراقيل والعقابيل، ممّا هو معروف مألوف.

تحقيقِ الأمانِ، من وعد الله لأصفيائه في صراعهم مع الباطل

دلالة ﴿مِنَ﴾ في قولِهِ: ﴿مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾:

حرفُ الجرِّ ﴿مِنَ﴾ في قولِهِ جلَّ وتباركَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ للتَّبعيضِ، والمعنى: إنَّكَ بعضُ الآمنينَ، ومِنْ جملتِهم. أي: يا موسى

بيان أنّ موسى من الصّفوة المحميّة من الله تعالى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 228.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 509.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 509.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 280.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 113.

أقبل نحو المكان دون توجُّس ولا تهيُّب، ولا تَخَفْ ممّا رأيته، من ضخامة الحيّة، لأنّها مسخّرة لك بأمر الله، ولن يلحقك منها أذى، لأنك من الآمنين عندنا، وقد اصطفيناك لحمل رسالتنا[1].

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلۡأٓمِنِينَ﴾:

الرّسل محفوفون بالحفظ، مناطون بالأمان

تعريفُ ﴿ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ للجنسِ، والمعنى: إنَّكَ مُنخرِطٌ في سِلْكِ جنسِ الآمنينَ، فأنتَ مِنْ جملتِهم. ويحتملُ أنْ يكونَ التَّعريفُ للعهدِ، ويرادَ بالآمنينَ الرُّسُلُ، كما دلَّ عليهِ قولُهُ تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠﴾ [النّمل: 10]، والمعنى: إنَّكَ مِنْ جملةِ الرُّسُلِ الآمنينَ المعهودينَ بالأمنِ والأمانِ[2].

نكتةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ ﴿ٱلۡأٓمِنِينَ﴾:

التّنبيهُ على رسوخِهم في الأمْنِ، دليل على حفظ الله لهم

عبَّرَ البيانُ القرآنيّ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾؛ لِما تدلُّ عليهِ هذهِ الصّيغةُ - لكونِها تفيدُ الثَّباتَ والاستقرارَ - مِنْ رُسوخِهم في الأمنِ، وعَراقتِهم فيهِ[3]، وأنَّهُ صارَ وصفًا مُلازِمًا لهُم، لا ينفكّونَ عنهُ، ولا ينتقلونَ منهُ إلى غيرِهِ، كما هو شأنُ صفاتِهم الجِبِلِّيَّةِ.

سرُّ التَّعبيرِ بـ عبارة ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾:

التّعبيرُ بما هو أشدُّ وآكدُ في تحقيقِ الأمْنِ، مبين عن المراد

قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾، أشدُّ في تحقيقِ الأمنِ مِنْ أنْ يقالَ: (إنَّكَ آمِنٌ)؛ لأنَّهُ يفيدُ جعلَهُ مِنْ جملةِ الآمنينَ[4]، خصوصًا إنْ قيلَ: المرادُ بالآمنينَ: الرُّسُلُ. يضافُ إلى ذلكَ أنَّ في التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾، مراعاةَ ملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لِما قبلَها.

(1) محمّد سيد طنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 10/ 403.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 509.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 280.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 113، واطفيّش، تفسير اطفيّش: 7/ 379.

سرُّ التَّعبيرِ بالاسميَّةِ دونَ الفعليَّةِ:

دلالةُ الاسميَّةِ على الثَّباتِ والاستقرارِ، مناسب لمدلول السّياق

جيءَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِهِ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾، ولم يُقَلْ مثلًا: (فسوفَ أُؤَمِّنُكَ)؛ لدلالةِ الاسميَّةِ على أنَّ الأمْنَ قضيَّةٌ يجبُ أنْ تصاحبَهُ، في كلِّ تحرُّكاتِهِ في دعوتِهِ، وهي قضيَّةٌ مُستمرَّةٌ مُلازمةٌ لهُ؛ لأنَّهُ في معيَّةِ اللهِ، ومَنْ كانَ في معيَّةِ اللهِ لا يخافُ[1]. يضافُ إلى ذلكَ أنَّ في التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾، مراعاةَ ملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لما قبلَها.

التّشابهُ اللّفظيُّ بين آية القصص، وآية سورة النّمل:

التّفنّن في عرض القصّة للتّشويق، وإيضاح بعض الخبايا

تشابهَتْ هذهِ الآيةُ معَ قولِهِ تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النّمل: 10].

ومِنْ وجوهِ الاختلافِ بينَهما: أنَّهُ قيلَ هنا: ﴿وَأَنْ أَلْقِ﴾، وقيلَ هناكَ: ﴿وَأَلْقِ﴾ [النمل: 10]، وتلكَ المخالفةُ تفنُّنٌ في تكريرِ القصَّةِ؛ لتجدُّدِ نشاطِ السّامعِ لها[2]. **ومنها:** زيادةُ ﴿أَقْبِلْ﴾ هنا، وهي تصريحٌ بمضمونِ قولِهِ في سورةِ النَّملِ: ﴿لَا تَخَفْ﴾ [النمل: 10]؛ لأنَّهُ لمّا أدبرَ خوفًا مِنَ الحيَّةِ كانَ النَّهيُ عن الخوفِ دالًّا على معنى طلبِ إقبالِهِ، فكانَ الكلامُ هناكَ إيجازًا، وكانَ هنا مساواةً؛ تفنُّنًا في حكايةِ القصَّةِ. **ومنها:** زيادةُ ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾ هنا، ولم يُحْكَ في سورةِ النَّملِ، وهو تأكيدٌ لمُفادِ ﴿وَلَا تَخَفْ﴾، وفيهِ زيادةُ تحقيقِ أمْنِ موسى عليه السلام[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّولّي والإعراضُ:

التَّولّي قد يكونُ بالجسمِ، وقد يكونُ بتركِ الإصغاءِ والائتمارِ،

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 18/ 10916.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 112.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 112.

الـتّـولّي يـكـون بـالـصّـدود وتـرك الائتمار، والإعـراض يكون بالوجه أوالقلب

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: 20][1]. والإعراضُ يكونُ أيضًا بتركِ الإصغاءِ ونحوِهِ، ويكونُ بالجسمِ، وإذا قيلَ: أعْرَضَ عنّي فمعناهُ: ولّى مُبْدِيًا عَرْضَهُ[2].

(1) الرّاغب، المفردات: (ولي).
(2) الرّاغب، المفردات: (عرض).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»